

عنوان الخطبة	المجتهد في العبادة والمسرف على نفسه
عناصر الخطبة	١/ قصة المتألي على الله تعالى ٢/ خطورة الحكم على الناس بأحكام الآخرة ٣/ الأعمال بالخواتيم ٤/ مساوئ العجب بالنفس والتعالي على الخلق ٥/ التحذير من تنفير الناس من الدين ٦/ خطورة التألي على الله تعالى ٧/ وجوب حفظ اللسان ٨/ ذم الاجتهاد في العبادة بغير علم ٩/ جواز مخالطة العاصي ومصاحبته بشرط.
الشيخ	د. محمود بن أحمد الدوسري
عدد الصفحات	١٠

الخطبة الأولى:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:



وبعد: فإن قَصَصَ الأمم السابقة بابٌ من أبواب الحديث النبوي الشريف، تُؤخذ منه العبرة، وتُستنبط منه الحكمة. والعبرة غاية لأولي الألباب، والحكمة ضالة المؤمن، فحيثما وجدها؛ تشبَّث بها، وعَضَّ عليها بالنواجذ، فكيف إذا كانت صادرةً عن مشكاة النبوة، وخير خلق الله -صلوات الله وسلامه عليه-؟

والنبي -صلى الله عليه وسلم- كان له -بإِطْلَاعِ الله له من الغيب- عِلْمٌ بأحوال الأقدمين، وإلمامٌ بعجائبهم، زيادة على ما في القرآن من قصصٍ وأخبارٍ ونوادِرٍ وأسرار، ومن ذلك: ما جاء عَنْ ضَمْضَمِ بْنِ جَوْسِ اليمَامِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: يَا يَمَامِيُّ! لَا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ: "وَاللَّهِ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا".

قُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! إِنَّ هَذِهِ لَكَلِمَةٌ يَقُولُهَا أَحَدُنَا لِأَخِيهِ وَصَاحِبِهِ إِذَا غَضِبَ. قَالَ: فَلَا تَقُلْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلَانِ؛ كَانَ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ، وَكَانَ الْآخَرُ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ، فَكَانَا مُتَاخِيَيْنِ، فَكَانَ الْمُجْتَهِدُ لَا يَزَالُ يَرَى



الآخَرَ عَلَى ذَنْبٍ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا! أَقْصِرْ -أي: كُفَّ وَأَمْسِكْ-.
 فَيَقُولُ: خَلِّني وَرَبِّي -أي: اتركني مع رَبِّي-، أَبْعَثْ عَلَيَّ رَقِيبًا -أي:
 حارساً-؟

قَالَ: "إِلَى أَنْ رَأَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ، أَقْصِرْ.
 قَالَ: خَلِّني وَرَبِّي، أَبْعَثْ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ قَالَ: فَقَالَ: "وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ
 أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا". قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا، فَقبَضَ
 أَرْوَاحَهُمَا، واجْتَمَعَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي.
 وَقَالَ لِلْآخَرَ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَكُنْتَ عَلَيَّ مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ اذْهَبُوا بِهِ
 إِلَى النَّارِ. قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ -
 أي: أَهْلَكَتْ- دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ" (صحيح: رواه أحمد وأبو داود).

ويشهد له: حديث جندب بن عبد الله البجلي -رضي الله عنه-؛ أَنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَدَّثَ: "أَنَّ رَجُلًا قَالَ: "وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ
 اللَّهُ لِفُلَانٍ"، وَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ -أي:



يَخْلِفُ عَلَيَّ - أَنْ لَا أَعْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ
عَمَلَكَ" (رواه مسلم).

عباد الله: من أهم فوائد هذه القصة وعظايتها: لا يجوز للمرء أن يقول لأخيه
أو صاحبه: "لن يغفر الله لك، أو لا يُدخلك الله الجنة أبداً"؛ لِمَا فِي ذَلِكَ
من القول على الله بغير علم، وقد قرّن الله - سبحانه - ذلك بالشرك.

ولا يجوز لأحد - مهما بلغ من مراتب العبادة والإيمان - أن يكون رقيباً
على العباد، أو ينصب نفسه حاكماً عليهم في صلاحهم وعدم صلاحهم؛
فإنَّ الحُكْمَ على الآخرين بالكفر، أو الفسق، أو الفُجور، فهو لله - تعالى -
وحده.

وإنَّ الأعمال بالخواتيم؛ فكم عابِدٌ أُوْبِقَ في آخِرِ عمره، ومُسرفٍ نَجَّاهُ اللهُ
- تعالى - برحمته، وبدل عليه قول النبيّ - صلى اللهُ عليه وسلم -: "فَإِنَّ
الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ،
فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ. وَإِنَّ



الرَّجُلُ لِيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ،
فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ" (رواه
البخاري).

وَعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ". فَقُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ! أَمَّا بِكَ وَمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ نَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: "نَعَمْ؛ إِنَّ
الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ" (صحيح: رواه
الترمذي).

ويجب على المجتهد في العبادة ألاّ يحتقر أحداً من المفسرين المذنبين، وألاّ
يُنْظَرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْاِزْدِرَاءِ، وَأَلَّا يَنْظُرَ إِلَى نَفْسِهِ بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ وَالْكَبْرِ
وَالْعُجْبِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ مَوْجِبَاتِ الْهَلَاكِ وَالضَّلَالِ، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذُنِبُونَ؛ لَخِفْتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ
ذَلِكَ: الْعُجْبُ الْعُجْبُ" (حسن: رواه البيهقي). ولذا قيل: معصيةٌ أورثت
دُلاًّ واستصغاراً؛ خيرٌ من طاعةٍ أوجبت عُجباً واستكباراً.



فينبغي على الناصح أن يكون همُّه كسبَ قلبِ المنصوح، وليس كسبِ موقفٍ عليه؛ كما فعَلَ العابد هنا! وأيضاً الحذر من تنفير الناس من الدِّين والطاعة عند نُصحهم. وعلى المجتهد في العبادات ألاَّ يأمن مَكْرَ الله - تعالى-، وعلى المسرفِ على نفسه ألاَّ يئأس من رحمة الله -تعالى-.

جاء في ترجمة البُهلول بن راشد القيرواني المالكي: "قال بعضُ تلامذة البُهلول: دُفِعَ إلى البُهلول كتابٌ، ففضَّه. فإذا فيه: من امرأةٍ من "سمرقند" من "خراسان"، مجننتٌ مجنوناً لم يمجننه أحدٌ إلاَّ هي، ثم أنابت إلى الله، وسألت عن العباد في أرضِ الله، فوصفَ لها أربعة؛ أحدهم بُهلُولُ بإفريقية، فكتبت له تقول: سألتك بالله يا بُهلُولُ! إلاَّ دعوتَ الله أن يُديمَ لي ما فتح لي فيه. قال: فسقطَ الكتابُ من يده، وحرَّ على وجهه، وجعلَ يبكي حتى لصقَ الكتابُ بطينِ دُموعه، ثم قال: يا بُهلُولُ! من سمرقند خراسان؟! الويل لك من الله إن لم يسئُرْ عليك".



فإذا وقعت عينك على ذنبٍ لأخيك؛ فلا تقع في نفسك العزّة، وأنّك خيرٌ منه! فإنّ كان هو فُتِنَ بذنبه؛ فإنّك نجوت برحمة الله وتوفيقه وسنّره، فادعُ الله له بالهداية، ولنفسك بالثبات.

عباد الله: إنّ العُجب بالنفس، والتعالي على الخلق، والغرور، من أمراض القلوب التي تُحْبَط الأعمال؛ وكان أبو الدرداء -رضي الله عنه- يقول: "إذا تعيّر أخوك واعوج؛ فلا تتركه لأجل ذلك، فإنّ الأَخَ يعوجُ مرّةً، ويستقيم أخرى".

وكان رجلاً على حالٍ حَسَنَةٍ، فأحدثَ ذنباً، فرَفَضَهُ أصحابه ونبذوه، فبلغ إبراهيم النخعي ذلك، فقال: "تداركوه وعِظوه، ولا تَدَعُوهُ". فِينبِغِي على الناصح ألاّ يُقْنِطَ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَصْبِرَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَتَعَجَّلَ النَّتَاجَ. وَيَجِبُ عَلَى الْمَنْصُوحِ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِلنَّاصِحِينَ الْمُخْلِصِينَ، فَإِنَّ بَاعِثَهُمْ هُوَ حُبُّ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ، وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ.



الخطبة الثانية:

الحمد لله...

عباد الله: ظاهر الحديث يدل على أن التألي على الله يُحِبُّ العمل؛ فإنَّ الحُكْم بدخول أحدِ الجنة أو النار، حقُّ خالصُ لله -تعالى-، وهو من لوازم ربوبية الله -عز وجل-، ومَنْ نازع الله -تعالى- في ربوبيته أو شيء من خصائصه ومُلْكِهِ؛ فهو على شفا هلكة، وخطرٍ كبير. فإنَّ الافتراء على الله -تعالى-، والافتئات على عفوهِ ورحمته، كبيرةٌ تُوبِقُ العمل وتُحِبِّطُهُ.

وعلى المسلم أن يحفظ لسانه، ويتورَّع عن الكلام الذي لا فائدة فيه، ولا يعنيه؛ وربما كان فيه هلاكه؛ كما كان حال هذا العابد الذي قال لأخيه المذنب: "وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا"، فإنَّ اللِّسَانَ أمره عظيم.



khutabaa.com



ص.ب 156528 الرياض 11788



+966 555 33 222 4



info@khutabaa.com

يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً؛ يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً؛ يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ" (رواه البخاري). وفي حديث آخر: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَرِثُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ" (رواه البخاري).

ويؤخذ من الحديث: أَنَّ الاجتهاد في العبادة بغير علم ليس محموداً، ومفاسدُه كثيرة، فلا بد أن يسبقه العلم والفقهُ في الدين، قال الإمام البخاري -رحمه الله-: "باب: العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله -عز وجل-: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) [محمد: ١٩]؛ فبدأ بالعلم). وقال - سبحانه-: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الزمر: ٩]".

فإنَّ هذا الرجل المجتهد في العبادة ضاع جهده وتعبه ونصبه؛ لِقَلَّةِ علمه، وقِلَّةِ معرفته بصفات ربه -تبارك وتعالى-، فانقلب الأمر عليه؛ لأنه تكلم بغير علم، فبَعَى وتجاوزَ حدَّه، وافترى على الله الكذب، قال -تعالى-:



(وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) [النحل: ١١٦].

ومن فوائد الحديث: جواز مخالطة العاصي ومُصاحبتِه، ما دام يغلب على الظنّ، قبوله للحق، ورجوعه وإنابته إلى الله -تعالى-، فإن أيسّ الناصح من ذلك وخاف على نفسه شرّ العاصي أو فتنته؛ فله أن يهجره وقايةً لنفسه، وليكن هجرًا جميلًا لا أذى معه.

قال ابن القيم -رحمه الله-:

واهجر ولو كلّ الوري في ذاته *** لا في هواك وخبوة الشيطان
 واصبر بغير تسخّطٍ وشكايّة *** واصفح بغير عتابٍ من هو جان
 واهجرهم الهجر الجميل بلا أذى *** إن لم يكن بُد من الهجران

وكان مذهبُ عمر، وأبي الدرداء، والنّخعي، وجماعة -رضي الله عنهم-: أنهم لا يهجون عند الذنب.

